الفصل الحادي عشر
موسى وفرعون ويوم الزينة

المؤمن لا يخشى جبارًا ولا طاغيةً ؛ لأنه معصوما بقوة الله وجبروته ، فموسى عليه السلام نبي الله مطمئن القلب بعقيدة إيمانه ، ودعم الله له بمعجزات قدرته ؛ ليتصدى لفرعون الطاغية الذي نادى في الناس ليقول أنا ربكم الأعلى ، وها هي ملحمة قرآنية تصور من هو فرعون ، أهو حقا الأعلى أم الأصغر؟ لا بل والله هو من السافلين فقد ذكر في القرآن الكريم قول الله تعالى

"قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى (٥٩)طه

هكذا قال موسى لفرعون وسحرته"مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ"

ويوم الزينة كما ذكره ابن كثير في التفسير هو يوم عيدهم ونوروزهم وتفرغهم من أعمالهم واجتماعهم جميعهم ؛ ولماذا اختير ذاك اليوم دون غيره ؟ليشاهد الناس قدرة الله على ما يشاء ، ومعجزات الأنبياء ، وبطلان معارضة السحر لخوارق العادات النبوية ، ولهذا قال : (وأن يحشر الناس) أي : جميعهم) ضحى) أي : ضحوة من النهار ليكون أظهر وأجلى وأبين وأوضح ، وهكذا شأن الأنبياء ، كل أمرهم واضح ، بيِّنْ ، ليس فيه خفاء ولا ترويج ؛ ولهذا لم يقل " ليلا " ولكن قال : نهارا ضحى .واختلف الكثير في يوم الزينة ،

قال ابن عباس : وكان يوم الزينة يوم عاشوراء .

وقال السدي ، وقتادة ، وابن زيد : كان يوم عيدهم .

وقال سعيد بن جبير: يوم سوقهم .المهم أنه كان يوم جمعا من الناس وعلى رأسهم فرعون وحاشيته وسحرته ،

إذن ما القوة التي جعلت موسى يقف أمام هؤلاء الجبابرة أمام جمعا من الناس ؟ألم يخشى الخذلان ؟ لا والله كيف وهو واثق من نصرة ربه له ولدينه ، تقدم موسى وقلبه مطمئن بفوزه على هؤلاء وهذا العرض القرآني يوضح عظمة هذا الموقف وقوة موسى وخذلان فرعون وحاشيته فقال الله تعالى

"قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ (١٠٩) يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ ۖ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ (١١٠) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ (١١١) يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ (١١٢) وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ (١١٣) قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ (١١٤) قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ نَحْنُ الْمُلْقِينَ (١١٥) قَالَ أَلْقُوا ۖ فَلَمَّا أَلْقَوْا سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ وَاسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ (١١٦) وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ (١١٧) فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (١١٨) فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَانقَلَبُوا صَاغِرِينَ (١١٩) وَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سَاجِدِينَ (١٢٠) الأعراف أنه لموقف عظيم يتحدث فيه السحرة إلى موسى بكل قوة وثقة فيما يفعلون ، بل ويتهمونه بأنه ساحر عليم،و يطلبون منه أن يلقى ما عنده من سحر

ليثبتوا لهذا الجمع كذب موسى وربه ، أو يبدؤن هم بإلقاء ما عندهم وحاشا لله فيما كانوا يقولون ، فألقوا ما لديهم فسحروا أعين الناس ، وجاء دور موسى بتدعيم ألهي من ربه ليوحي إليه أن يلقى عصاه ، يا ألهى جاء الأمر من الله بإلقاء موسى عصاه أمام أعينهم في حال موقفه ، أذن فكيف ذهب موسى بلا معطيات مادية تعينه من الأصل ؟ ذهب بيقين الإيمان، والثقة بربه، ودعمه له ،والاطمئنان،ليقول له ربه" أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ" أَيْ: تَبْتَلِعُ، ﴿ مَا يَأْفِكُونَ ﴾، ويَكْذِبُونَ مِنَ التَّخَايِيلِ، وَقِيلَ: يُزَوِّرُونَ عَلَى النَّاسِ. فَكَانَتْ تَلْتَقِمُ حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَاحِدًا تلو الأخر حَتَّى ابْتَلَعَتِ الْكُلَّ ، ثُمَّ أَخَذَهَا مُوسَى فَصَارَتْ عَصًا كما كانت.وهنا كان الحق ثابت لا شك فيه أمام أعين هؤلاء السحرة الذي تأكد لهم بعين اليقين أن ما حدث أمام أعينهم لم يكن سحر انه حق مبين ، فما كان منهم إلا أن سجدوا لعظمة الله وقدرته ،ولم يخشوا فرعون بل آمنوا برب موسى وهرون، ووقتها جن جنون فرعون ليقول لهم كما حكى لنا القران الكريم في قوله تعالى " قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٢١) رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ (١٢٢) قَالَ فِرْعَوْنُ آمَنتُم بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِي الْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ (١٢٣) لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ (١٢٤) قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ (١٢٥) وَمَا تَنقِمُ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِآيَاتِ رَبِّنَا لَمَّا جَاءَتْنَا ۚ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ (١٢٦)الأعراف.

وبمجرد وقوع الإيمان بقلب السحرة سجدوا لله لم يلمس الإيمان قلب السحرة فقط بل وقع فيه وقوعا والوقوع له صوت واثر؛

لهذا اعلون إيمانهم فور رؤياهم لعظمة الله بلا تردد، ولا ريبة من جبروت فرعون، وقالوا: إن إلى ربنا منقلبون إي إليه راجعوان وإليه مصيرنا ،واستعانوا بربهم على جبروت فرعون والله نصير المؤمنين،فالإيمان مفتاح لاطمئنان القلوب.